حسين أبو يوسف الليثي

نهر الموسيقى



عاشور الطويبي

حسين أبو يوسف الليثي

حسين أبو يوسف الليثي

شعر

منشورات

مجلس تنمية الابداع الثقافي ـ الجماهيرية

فهد الموسيقى

شعر

نهر الموسيقى

عاشور الطويبي

شــــعر

نهـــــر الموسيقى

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية (5578)
الترقيم الدولي (ردمك 6 - 007 – 38 – ISBN 9959)
الطبعة الأولى 2004

لوحة الغلاف: خولة عاشور الطويبي

حسن أبو يوسف اللويثي

كأن الفلك برارٍ

وأنت مليكها

[إلى كامل المقهور]

منذ شهرين متواليين تمر
أمام بائعي السمك
هم لا يحيونك
هم لا يحيون أحد
أيديهم تقلب في ثلج الصناديق
أجساد السمك الميت المهزوم

الأقفاص المعدنية تلمع
تحت شمس لا تضحك
حال الفقراء
هو
حال السمك
إنك لا تريد أن ترى أكثر
لكنك تلمح قوارب
تستلقي على ظهرها
تسمع أنفاسا هرمة متعبة

هل هذه ضربات عود
أم شجن ينوح في ثنايا
المكان؟
ليس مهما أن تحضن أشواقك
كما ورثتها
وتخاصم رياح البحر
ليس مهما أن تفتح شباك
غرفتك أمام بحة صوتها العذب
وتسكر الليلة بدمعك
ليس مهما إن غادرتك الأحلام
والأعشاب جفت علىالصخور
ليس مهما ...

هنا حزمة الأيام تقاسمك
القهوة المرة والأصحاب
تخطفتهم الدروب، تصلبت

أرواحهم وانتشروا على
المدى همهمات
هنا شمسنا التي كبرت بكلام
المحبين
باردة كمجمل أيامنا

ترحل الأماني على قوس
الجنون المريع
رفرفات ممزقة، وسفائن
القوم عادت بلا قوم
تردد: الجوع كفر والأرض لا
تعبأ بالعابرين
تنهض كأن الفلك برارٍ
وأنت مليكها.

طبيعة

التلة كانت تستعد للرحيل
استنشقت الهواء القادم من جزر لا تراها
ربما تعبت من الانتظار
ربما اشتاقت- كما نفعل نحن ساكني
الشقوق-
لتفهم ما الذي يسند خط الأفق

الريح انتظرت النهار كله والليل كله لتركب
فرس البحر
كانت تفكر كيف ستخبره عن رغبتها في
اقتناص الموجات الهاربة منذ قرون،
الموجات التي وضعت أثوابها الزبدية على
شواطئ الدنيا وانسابت مع الماء في هدوء
الموت

الطحالب التي جاءت من رغبات قديمة ،

انسلت من حقائب المسافرين، رفعت
أجسادها اللينة فوق الماء،التفتت إلى كل
الاتجاهات، أصابتها الخيبة. كانت عارية،
بلا رغبات

قطرات الندى التي سقطت من حواف
العشب
حملها النوم في عربته إلى الأبدية
أقدامه طوت في صعودها رائحة الحياة
وهي تتأرجح فوق العربة بشروط
الموسيقى

مدينة

دوائرها
كثيرة
حوافها الماء الذي اقتلع الصخر
وتلوى بالنشوة العظيمة

شوارعها
تتنفس
بالأبخرة والفلفل
وجلود حيوانات الغابات البعيدة

شفتها
تقدمت
لتفرش قبلتها
وراء خمارها الأزرق
على وداعة الظل

حراسها

فوق النخيل
عيونهم تمسح
سقوف البيوت الطينية البيضاء

الريح
تفتح أبوابها
تقفل أبوابها

الريح
خازنة أسرار
لاحقت طيور السنونو
على أسوارها
حملت وجوه الملثمين
معها وراء الكثبان الصامتة
ما كان لهم أن يقولوا
الرمل الظمآن يعرف
العشب الضامر يعرف

المطر الغائب يعرف
السراب المخادع يعرف
السماء تعرف

على خشب بني صنعه سيفوناي
البربري وضع ظهره بهدوء القديسين
أغمض عينيه المتعبتين تقاطعت ذراعاه
على رأسه المثقل بالهموم ضربته الريح
القادمة من الأبيض المتوسط من كل جانب
لم تقس عليه الريح، بألف ذراع هوائي
سحبت بلل الأبيض المتوسط من كمه،
هزت بها أركان المسرح العتيق، تقاطر
الفرنجة من كل صوب أعين كثيرة وراء
كاميرات ألمانية ويابانية

فتح عينيه، أجنحة السنونو تحلق بطفولته
الهاربة منذ أن غادرت الأقدام حواف كثبان

الرمال القاحلة، منذ أن صفقت فرحة
طيور البر بأجنحتها فوق قوارب الصيادين
والتجار القادمة من خط الأفق الأزرق، منذ
أن تغير ما يوضع من أطعمة،منذ أن رأى
السائرون في كهوف الماضي ضوءا في
آخر النفق: كان لا بد للكلام أن يتغير
للسان أن يعبث بالعالم، للستر أن تمزق،
للحجب أن تنتهك، لكن السائرين قذفت بهم
الريح العاتية الغضوب إلى زوايا مظلمة،
رطبة. كان الوقت قد مات وخسر تابوته
المذهب.

حين رفع رأسه عاليا لم ير سوى الخراب
الكبير، وساقية القوم تصب في منبعها، كان
المنبع قد غطته شجرة، لا تطرح إلا
حميما.حاصرته كلمات هرمة، متعبة، نخر

عظامها زفير صحاري شاسعة، حين شق
صدره برغباته البسيطة، لم يحتمل قلبه
وخز أشواك الكلمات
قال الراحلون العمي:
من خسر وقته خسر تابوته المذهب

نافذة

من نافذته الشرقية ماركوس اوريليوس
يراقب ليدا تدخل حمامها الزيتي
لقد دخلت مبكرا اليوم، صاحباتها يدلكن
الجسد الناعم أعينهن تلمع مثل برق فجر
الشتاء، رائحة عشب الكليل تملأ شط
صبراتة يشعر بالسعادة، يمد رجليه على
حرير إيراني تتصارع فيه الثيران اللعوب،
هزها برفق كي تهدأ، كي لا تزعج ليدا في
حمامها الزيتي، البحر يتثاءب بهدير يحاذي
قلب اوريليوس الفرحان

هـــرم الزمان
فاحت خيباته

1

ها قد وقفت
جبل الرمل أمامك
لاشيء وراءك
سوى صدي أنفاس خائفة
حيرة عينين تكتشفان
جنون رمل وخيبة ماء

من خاصرة الأرض ينهض نواح موحش
تحت شجرة العابرين العتيقة
ألأجساد تفهم رعشة الليل
الموسيقى غضة بلهيب الطريق الطويل
وخيمة الشهقات عمدتها قبل الرحيل
أغنية العاشقين

حارس المدينة القبيح
لم ينظر إليك حين وضعت وردتك

على حزن الجبل
قال:
لو ماتت كلماتك ستموت

2

تدنو الشيخوخة من سلم عاداته
تمد سكينة على كلامه اليومي
الحائط الذي ثقبه النمل لم يعد يسند ظهره
الرمال المعلقة في الرغبات حنت إلى
أرضها
والأحلام تنوح على صدر الوطن

تحت شجرة البرقوق الصامتة
يتأرجح حلم صباحي
على طاولة الجندي العائد من الحرب

رمال صحراء بعيدة
والعازف الأعمى يهمس لضفائر
امرأة تعبر دامعة العينين

أتجه ناحية الشارع
خطواته فراشات بلا أجنحة
كان الخوف على ساحة الكلام
خوفا على أي حال
والمصباح في الغرفة المغلقة
غادره الضوء

لنتوقف قليلاً

لنتوقف قليلا
في أول الدرب
لا يهم
في آخر الدرب
لا يهم
قد نسمع
صوتا بداخلنا
يفور
أو يرقص
قد يكون باردا كجلد ضفدع
خرج توا من بياته الشتوي
قد يكون شهيقا في
زوايا رئة أتعبها التبغ

ألا ترون
أننا معلقون بخيط عنكبوت

على غار خوفنا

صرنا نقسم

أي شيء

إلى قسمين

وفي تخمة الوهم

نبول على الوهم

نغرق العالم

بفحولة ذاكرة لا تنتصب

وننصب خيامنا على

صحراء لم تعد لنا

لنتوقف قليلا

فقط

لندعي من نبلنا

أن العين اليمنى

لا ترى

ما يسقط

من يسقط

في الجانب الآخر

ألا ترون

أن السماء خاصمت غيم الشتاء

والفراشات لا تحلق فوق سقوف بيوتنا

لنتوقف قليلا

فقط

لنسكب نبيذهم المعتق

في رمل عطشنا الأزلي

ونفخر بإبلنا التي أبدا

ما نسيت مسالك الجوع والتيه

أغنية وراء الحائط

إلى رامي حامد

الأشياء تقف على أطراف أصابعي
الذي حملني طويلا صار يكذب عليَ
يفتح أمامي قشرة الوقت
يخرج أصوات الناس القديمة
يضعها في طابور المجندين على
مفرق شعر المدينة المحاصرة
ما كنت أملكه لم يكن شيئا
وما لا أملكه لا يهم غيري
فأنا طائر بلا أجنحة وقارورة بلا ماء

كنت أتقلب بين بداهة ساذجة و حيرة آخر
الدرب
أصرخ يرتد صوتي على حائط في آخر الليل
يبكي هزائمي
ترتفع أعلام من سارية مجد غابر مبللة
بالدم المزيف

أدني من القلب هواء مرَ من بيوت خانها
الجبناء
عل العويل الصاعد قلب السماء يختفى
عل البنات اللائي نسين لعبهن تحت الميتين
ينمن

صوته يطلَ الليلة على كوة
حاضرها سقوط وابتداؤها منفى
ما كان لنافذته أن تستريح
ما كان له أن يخفي أنَته الحارقة
ستقترب السرَة من قبر المحارب
والجسد يصير نارا تجمع شهقات
الذين غادروا صحوة الوهم فينا

صوته يطل الليلة على كوة
أمامه حجر

ووراءه حجر
وعلى جانبيه نحيب قديم

من فوق كتفه مرَت الدنيا
تجاسر العشب أخفى وروده
همس لنجمة أن تبدأ الغناء المهيب
تقدم النهر يسأل عن قوارب
أشرعتها شموس ومجاديفها بكاء

قال لصاحبه
بيني وبينك
ماء يتقلب حصاه
وجبن العشيرة
بيني وبينك
ماحرَمت الأنجم الآفلة
ما حللت الأنفس الراجعة

فأين الغروب الذي شهد المذابح
يسأل عنا براقا لم يزل يصعد درب المحبين
أين المجنَ الشهيد
يمد بساطا من الشوق إلينا
يهدهد على راحتيه ضحكا كان لنا

كل ما في الأمر

كل ما في الأمر أن
شابا نهض مبكرا
شرب الماء الشحيح
لم يستطع أن ينظر في عيني أمه
أحس بمرارة الشاي في حلقه
لمح تجاعيد جديدة في وجهه على سطح
المرآة
كان يسميها المرآة الحزينة
لمح أيضا جنديا يهرول ناحية الباب
معدن البندقية يلمع تحت شمس ابريل
وضع يده في جيب بنطاله
رسالتها ترقد هانئة منذ ليلة أمس
طرق على الباب
طرق أقدام زرقاء
عواء يقف على عتبة الباب

كل ما في الأمر أن
شابا نهض مبكرا
ونام في قبره قبل أن تسقط
شمس ذلك النهار

وقوف

وقوف

وقفت وراءه عارية
يداها اللتان عجنتا الحنطة في الحقول
الخضراء
ممدودتان على جانبي النهر
على كتفيها
وقفت عصافير البر القبلي
مليئة بالبذور والأغاني الدافئة

وقف أمامها عاريا
إلا من خطايا صغيرة
غسلها في النهر
قبل شروق الشمس
بيده يهز عصا الطاعة،
وفي الأخرى

يحمل نداء الجداول للعابرين

وقفا
وكان النهار
كرة مقوسة
وكان الليل
على أطراف الأرض
يملأ سلاله بالبدايات الجديدة
وأحلام القادمين من ضحك نبيل.

الجالس

قال حينما جلس على الكرسي
حليق الرأس، ناعم الخدين:
الهدوء حديقتي الأبدية
وما كتبت على حجارتكم
إلا الحكمة التي في قلبي

كنت بينكم
لا اسم يسبقني
ولا ظل يتبعني
كنتم تمرون ببابي ولا تدقون
على شباك نافذتي
ملئت كؤوسٌ بروائحكم

حين أسألها

تفضحكم

غير أنني كلما حركت لساني

يفضحني

هاأنذا الآن جسد بلا نفَس

مربوط بخيط إلى أنينكم

ارقب من شباك نافذتي

لعلني يوما

يوما واحدا فقط

تدق على بابي أصابع بلا رائحة.

تفحص

أنظر إلى حاشية مذهبة بعينين مدققتين
هذه خطوط صغيرة
هل هي النور؟
هل هي الأمل؟

هذه انحناءات ودوائر متقاتلة
هل هي ساحة صيد غادرها الصيادون؟
هذه فراغات بلون التراب النظيف
هل هي المدائن أقفرت وخان خليلها؟
هذه مثلثات كأنها ترقص في الفضاء
هل هي خيول فرسانها النيران
وصهيلها الزعفران؟
هذه تعرجات على قدم ثور
هل هي أنفاس سمك يتعذب

وارتعاش نشُاب أمام قوس مثقل بالجراح؟
هذه يد تحمل الشمس
هل هي التي جاءت تفك مشبك العروس
قدام عريسها؟
هذه كتابة غير مقروءة
هل هي ما كتب وما سيكتب من...؟

رفقة

الشعلة التي رافقتني
صارت زنارا لوداعة السهول
العين التي حطت على ذراعي
لم تزل تنظر إلى السماء
الخطوة التي أخذتني إلى شهد الغابة
صارت منارة للراحلين
النفَس الذي انبثق من راحتي
انتشر على الأركان الأربعة
رياحا أربع

قابلتني قوارب
على ظهرها نساء ورجال وأطفال
يميلون كما يميل الماء
أمامهم جرار الوهم

ووراءهم شهقات باردة
اعلم أنهم ميتون
اعلم أنهم لا يبصرون
زفرت حزنا
فانشق الماء

عبور

الطريق الذي عبرته
السيوف الكبيرة والسيوف الصغيرة
سيوف النحاس
سيوف الحديد
وسيوف الذهب
كان يؤدي إلى مقبرة

جسد له خوار
يأتي متمهلا على أقدام من حجر
ساحبا وراءه ورودا، ورؤوس ماشية
وشعرا جاهليا
القبور تحضن بعضها مثل شبابيك أمام
البحر
تلتف حول شواهد البكاء

دوائر من لهاث قارس

الشفاه تلعق لحى شجر غض من زمن
أخضر
علها تستعيد ذاكرة هزتها ريح رغبات
فاسقة
علها تنطق باسم من يقبعون تحتها دون
لعثمة
عل الطريق الذي عبرته
السيوف الكبيرة
والسيوف الصغيرة
يؤدي إلى واحة القبرات.

النخاس

ماذا تفعل الخيل واقفة عند سور المدينة؟
النخيل التي رفعت عراجينها إلى أعلى
كانت تنحني نحوها ضاحكة
سطح البركة تقلقه النشوة
ومن دلو الماء
تتساقط أزهار البشنين

ماذا يفعل الرجال يقفزون في الماء
في صمت العقلاء؟
قلوبهم التي لم يأخذوها معهم
صارت قمرا يحرس الأماني
التي تسبح في الفضاء

ماذا تفعل النسوة قرب النهر؟
واقفات خلف شجيرات الدوم
على جبينهن تفوح أزهار البشنين؟
يهبن أنفسهن لعرس النهار البهي.

قدورهم مليئة بولائم لم يدع إليها احد
النخاس دق على باب المدينة
عض على شفة العناب
انساب نهر بمحاذاة موسيقى
لا يدري أتحيا إن غادرت شجرهم؟
أم تحيا إن غادرت إبلهم التي في السماء؟

النخاس عد بضاعته
عينا، عينا
سنا، سنا
شفة، شفة

فخدا، فخدا

ونام خاتما أوراده بلا كلمات

سلالم

هنا سلم يؤدي إلى حانة الغرباء
هنا سلم يؤدي إلى مأدبة الفقراء
هنا سلم يؤدي إلى ساحة فارغة
هنا سلم يؤدي إلى مقصلة نشطة
هنا سلم يؤدي إلى غابة مقفلة
هنا سلم يؤدي إلى رحيق مختوم
هنا سلم يؤدي إلى ماء يجري إلى مستقر له
هنا سلم يؤدي إلى ثقب في عصا غليظة
هنا سلم يؤدي إلى مأذنة حزينة
هنا سلم يؤدي إلى موسيقى بصوت واحد
هنا سلم يؤدي إلى متاهة العاشقين
هنا سلم يؤدي إلى حلزون هرم
هنا سلم يؤدي إلى مدينة غائبة
هنا سلم يؤدي إلى ظل قلق

هنا سلم يؤدي إلى شهقة حارقة
هنا سلم يؤدي إلى شرنقة الزهاد
هنا سلم يؤدي إلى ملك لا يغادر عرشه
هنا سلم يؤدي إلى ساقية جافة
هنا سلم يؤدي إلى سلالم تؤدي إلى سلال
تؤدي إلى سلالم

رجال

الرجال الطوال أحدتهم النشوة فانتصبوا
حركوا رؤوسهم يمنة ويسرى
من أحسن منا مالا وولدا؟

الرجال القصار حين رأوا سوط عذاب
رفعوا عقيرتهم بالغناء الحزين
دخلوا ثقب الحميم
فرادى
ومثنى
وثلاث

النائمون على جنوبهم غطتهم السكينة بيدها
رفرفوا بأجنحة أحلامهم التي
بللها المطر
رجعوا إلى البحر

أسرابا

أسرابا

الثيران التي راقبت المشهد
مدت رؤوسها إلى قرن الشمس
تنفخ فيه ميلاد الزلزلة.

قتيل

ماذا فعل الرجل الذي يقتل الآن؟
ترك النسر يقطف زنابق الزمن
أوهم السابحين أن الماء صديق لا يخون
كتب على جدار جاره أغنية فاضحة
علق على أعناق الشجر موسيقى لا تفهم
مرر بعمد ضحك الأطفال إلى حديقة الملك
نام دون رداء على وسادة الليل
حصد كلام المحبين قبل أوان نضجه
رفع عينيه إلى نافذة سيدة الماء
أيقظ اليرقات من نعومة الشرنقة

ماذا فعل الرجل الذي يقتل الآن؟
خطف الريح من جبة الزمان

وقف شامخا

تحت حبل المشنقة.

طائر

أيها الطائر الذي حط على كتفيِ
استرح قليلا
بيدي أحمل إليك طعامك المفضل ولا أتعب
بيدي الأخرى أنظف ريشك من غبار
الطريق ولا أتعب
بعيني أرعاك فلا تقع في الشراك الخفية
بقلبي أهز سريرك لتنام هانئا
بأذني أتسمع وقع أقدام الصيادين البعيدة
بقدمي أمحو أثار رائحتك من على الجذوع
والأغصان الطرية
أما كتفي فهو مقعدك في السماء

أيها الطائر الذي حط على كتفي
هل كنت تعلم ذلك قبل الآن؟

الطائر قال:

الدنيا لم تعد تصلح لعيش طائر يكره العفن.

وجه

لم ألحظ الوجه الذي في الطين
كنت متعبا وحانقا
الوجه كان لرجل -ربما- نحيل
هدته سنون عجاف
الجبين ضيق وبارز من وهن التأمل
نخر العظم سوس الرتابة وقلق الحالمين
العينان نصف مغمضتين
أيحلمان بطوق الحمامة أم هما ملتا النظر
في الوجوه؟

لو كنت لاحظته هل كنت سأسأله عن زمن
مضى وولى؟
عن لفتة طفلة في زقاق جانبي أليف؟
عن مدائن ضاعت من عمر الواقفات على

الجسر؟

عن ومضة قصيرة من شق باب مغلق؟

عن كلام كثير، كثير؟

كنت ربما سألته عن ذلك وغيره

لو أنني لاحظت وجهه في الطين.

الراقص الأول

صباحي ليس كمثله شيء
قد راودته العذارى وسابقته الجياد
الصافنات
أحمله إلى بيوت مملكتي
يشتهي أن يكتب على الحيطان ذاكرة زكية
أعطيه دمي حبرا وقلبي محبرة

أحمله إلى خزانة أحلامي
يشتهي أن يفك طلاسم سحرها
أطيل من أجله رقادي على سرير الأحلام

أحمله إلى خان الغرباء
يشتهي أن يفسق
أجمع أعواد القصب الطرية

وأصنع سياجا بينه وبين الوشاية

أحمله إلى طريق المحبة
يقول لي
لك الآن أن تشتهي
اشتهي صباحا ليس كمثله شيء.

الراقص الثاني

ليلي ليس كمثله شيء
حين يجيء يهدهد بكائي تحت يدي
يقف حارسا يهذب برفق
أصوات الذين يمرون ببابي
يقلب في الهواء حقائب الحفاة العراة
فتضيء السماء كالنجوم

حين يتعب يفك أزرار أسراره على
الحصى
فتخرج الكلمات الهادئة، يصفها جنبا إلى
جنب
ويغلفها بشرائط الحرير

حين يأخذني النوم من أكمامي

يندفع إليه، يقول له
لا تأخذه مني
فإنه لي

حين أتلوى من شبق زائد
يمسح بندى الرحمة جسدي فأسكن

حين أغافله لأهرب منه
أسمع ضحكاته في حلوق الحشرات

حين يجيئني ليلي
فهو ليس كمثله شيء

الراقص الثالث

فسقي ليس كمثله شيء
لا النهار يمنعني ولا الليل يمنعني
أدلك جسد الرغبة بمساحيق حارة فائرة
أثوابي وردية وأرجوانية
روائحي شذا وعبير جبال في أقصى
الأرض

قد أرغب في لهو سابح فوق سرج وذهب
قد أرقص كما أفعل ألآن عاريا مخاصرا
نار الشهوة
قد أذهب بالخيال إلى العباد فيجنون
قد أسلك طرق الإشارة فلا يعرفني أحد
قد أسبح في الأنهار فتهيج الأراضي
قد أمر على البيوت النائمة فتنهض

مدادي حبر لا ينفذ
وكلماتي ليست كالكلمات
وهنا لي من الخلان مثلما لي هناك

أنا الفاسق وفسقي ليس كمثله شيء
فأدخل آمنا
وأخرج آمنا.

الراقص الرابع

خوفي ليس كمثله شيء
عندما وضعتني أمي كان قابلتي
عندما أشتد عودي وطاردت أسراب الحمام
كان ارتعاش الجسد الصغير وهو يموت
عندما نظرت إلى أعلى وقلت كلاما كبيرا
أنفجر التنور
كان هو التنور

عندما حكيت آخر نكتة أعرفها إلى
صاحبتي
كان العين التي في صدري
عندما وضعت رأسي على التراب
قال: الكل يفعل ذلك
عندما نمت

أقلقني في نومي

عندما تعلمت أن أصرخ في وجهه
قال: ليس لك من فكاك
عندما دفنت رأسي في الرمل
قال: لا بأس
فالرمل لي
ألا ترون أن خوفي ليس كمثله شيء.

جسد

جسدي صار جلدا للفراشات البيضاء
كنت أنتظر قدومهم
الرجال الذين أضاعوني قبل أن أولد
أخبرتهم في أحلامي عن تعب الانتظار
عن خوفي من أوهامهم المبعثرة في الهواء
عن شركاء قتلتهم ولم يبكوا
عن عقارب صفراء تنام على سريري
ألهو بلدغاتها في صباحاتي الكئيبة
لم آكل منذ صار فمي مشغولا بالكلمات

أنفاسي حملتها الرياح إلى الجبال والسهول
ودواليب الماء
الآن أجلس على كرسيي هذا
شيخا كث اللحية، هزيل البدن

قصير النفس

أفتش في أحلامي عن الذين تحركوا صوبي
قبل أن تطرح الشجرة ثمارها
الذين رأوا ما لا أراه
فأضاعوني
أضاعوني.

مزهو بلقبه

صادفته مزهوا بلقبه الجديد
ممسكا عصا بيده وكان النهار مستلقيا
أمامه كعجوز حكيم
أخبرته عن جذب الأراضي البعيدة
أخبرته عن القبرات تساقط ريشها
أخبرته عن ديدان تأكل في طريقها كل
شيء
أخبرته عن الاسترخاء في قيلولة لزجة
أخبرته عن أعمدة رفعها عمال بطونهم
خاوية

كان مزهوا بلقبه الجديد
ممسكا عصا بيده وكان النهار مستلقيا
أمامه كعجوز حكيم

سألني:
هل نامت البقرات في الحقل؟
هل رجعت الفلك إلى حافة الصخرة
العالية؟
هل لا زلتم تحلمون بالرغيف ساخنا؟

كانت الديدان قد أكلت نصف المدينة
فبكيت
بكيت.

صقر نبيل

ما بين هضبتين مائلتين ربطت صقري
النبيل
جناحاه سنابل ومفارش القوم غطت سماءه
مدت موائد من ثمر يانع ونبيذ معتق

قرأت على حائط جلله
ظل عرائس لم يمسسهن إنس ولا جان:
ادخلوها بسلام
وكانت قدور القوم من حديد يفور فيها الماء
وكانت عيون القوم ساهمة مليئة بالغزل
وكانت فؤوس تحفر في الهواء ثقبا ملونا

وكانت رقصات الجنادب في أوجها سهلا
من الأصوات

تهفو للقاء
وكانت ساعة على قبة المدى
تدق
تدق

طر حيث شئت
اضطجع حيث شئت
واسلك طريق السائحين

كوى

الكوى مفتوحة على تيه المقابر
والأقزام رفعوا الميت على أصابع من
ناريداه مضمومتان إلى صدره
حائرا كان وجهه
ومندهشة كانت انحناءة الكتفين
هل هو الغريب الذي خبأ الشجرة في كمه؟
هل هو الغريب الذي نسج من رذاذ الماء
ثوبه؟
اقتربوا أكثر
انظروا في عينيه
عسل ودم وفلك عليها عبيد ينحتون في
الصخر
حيوانات تتقلب وحيوانات تشرب النبيذ
وحيوانات تتخاصر

من نثر الشعير في البحر فتخطفته الطير
بمناقير من ذهب؟
من وضع الشهقات المقدسة على فم
الخنفساء؟

الأقزام وضعوا الميت على ظهر الفلك
وجدفوا إلى أعلى ضاحكين.

علي

من تهتك مد وتقوى جزر
كان على الليل أن يبعث الكلام
إلى ساقية في آخر الدرب تبكي
من يذهبون ومن يرجعون

من تهتك مد وتقوى جزر
كان على النهار أن
يرقص ما بين فاصلتين فائرتين
أن يتكئ على مسند السهو
أن يقفز من على حاشية المتن
لعل حبر الهزائم يهجر المحبرة
لعل الذي أخذته النساء
إلى صلاتهن جن
لعل سائر الليل ألتقط من فم الذئب
حجرا من دم وخصب المدينة

في المتن :
أقترب الزمان
تقلب السرو في أكمام دهشته
انفلتت أزرار عروته إذ
انتبهت الأرض إلى
ضحك في زجاج البهو

أقترب الزمان
مسح من على جسد الرغبات
الرغبات
وختم الكلام على فم الكلام

أول الليل

صمت يقتله جسد يصعد درجات النوم
الشجيرات تمد أعناقها
ترقب أول الليل يطل من هناك
لن يعبر الليلة أحد والمساء يكبر على مهل
الأوراق الصفراء كالبلح المدور
تتساقط وتطير
كان عليه أن يأتي
الرجل النحيل مثل سعفة مهملة
كان عليه أن يـ...

كيف وقد غيبه وقت استثنائي
كيف وقد خانه الجبل حين غزت الخيل في
قرطاجنة
كيف وقد نسي أن يرتق في ذاكرة هاربة
ما تشظى من بكاء
ما كان له سوى زفرة خاوية

بوليرو

ماذا يمكن أن تأخذ منه الريح؟
علق على مهمازها تعبا قديما
ومدد على أطرافها أسراره
لم يخف فهي لم تعد تسأل عن حامليها
وهموا ليسوا سوى نبض متاهات وصفير
موحش

مقهى مبلل بالمطر وشتائم العابرين
كنتَ في فتحة المكان كلاما بذيئا
ضوئك على الباب دخان أزرق
وحلوق القوم وردية
سلمهم
يفضي إلى أحلام
لا ترجع إليهم

باب المقهى نصف مفتوح

قدمان يتبادلان الرقص
على خشب هذبه
صهد المسافات القريبة
ودهن قبلات آخر الليل
لم يكن لهما ولع بالأناشيد
ولا ركبا يوما سروجا مذهبة
ولا انحرفا عن طريق

في المبنى المقابل
في الغرفة العليا
تكتظ الحيطان
بالعناق القديم
والعناق الجديد
كان وقت الرقص
نافذة مغلقة
وضوءا في ركن مستسلم

كان بلا خطيئة
حين احتواه المساء
يتساءل هل هي
امرأة الساعة السادسة
أم الساعة الثامنة
الفراش يحاوره النعاس
هو لم يذق برد الشوارع الفارغة
ولا ارتطام الزجاج الفاسق

من ثقب ما
من كأس بين أصابع غضة كأصابعه
من سائل يطفر بالنشوة
من فرح نحيل ينحني على شفة المرأة التي
دخلت
كانت الموسيقى تستنسخ ذاتها على مهبط
اللذة

وكان السقاؤون يريقون
عرق الرغبات في كل شيء
السيقان الملتفة
الرقص والرائحة
تدخل إبرة
الاشتباكات الحميمة

الزمان بطيء
داخل الأنفس
سريع فوق أرضية
المقهى المتألم

بوليرو
بدأت الآن

موسيقى البحر

العازف الأعمى تحسس بقدميه أرضية البهو
ضارب الطبلة شاهد الرغبة ضغط على
الطبلة
ضغطت المرأة ذات الفستان الأزرق على
كتف العازف الأعمى
اهتزت أسرار الليل، اهتزت أركان البهو
بالصور المعلقة عليه
اهتزت يد النادل يحمل الكأس إلى الشاب
الواقف قرب النار
وحدها فسيفساء أرضية البهو لم تهتم
انسابت ألوانها بمحاذاة الموسيقى.

لم يكن للفستان الأزرق اللماع علاقة بما
تحتويه الغرفة
استلقى دون قلق على ظهر المرأة
لم يفتح عينيه

لم ينتبه للتشيللو متكأ بأبهة
لم ينتبه للمرأة في الصورة تعد البرتقالات
وتضعها في سلة ارجوانية
لم ينتبه للبيانو في الركن وهو يفخر بأرجله
الرخامية
لكنه انتبه للكرسي يسري فيه دفء الجسد

يا لرحابة العود
يا لبهجة العود
يسمع دقات قلبه
دو
ري
دو

من وراء كتف الصبية
من وراء عالم ثري بفصاحة الرغبات

استرق النظر للنوتة المفتوحة على نافذة
ناعسة

أحاول أن الحق بأصواتهم
حبل كلماتهم يعلق صوتي
في طيات الكلمات

من وراء رؤوس الرجال
المتكئين على آلاتهم
ترقص الفتيات الوردية
خلفهن تأتي الفتيات الزرق
ببطء وحياء
نافخ البوق يتبع بجعة البحيرة
إلى مخدعها
بكل وقار الأرض وجمالها
لا يرفع عينيه عن لمعان الجسد في حائط

البهو
تنطلق الأصابع إلى الغرفة الجانبية ناعمة
غاب عنها ارتجاف السنين العجاف
تدخل الماء البارد
تكتب على السطح أصوات
السمك القادم من كهف البصيرة

على أوتار الكمان الطيب
تصعد آهات النسوة المستلقيات
على سرير الاستسلام القديم
هذا متكأ يستريح فيه الخريف المسافر
هذا خشب ناصع الرائحة يحضن النغمات
الجانبية
يتوهج في عينين لا يقترفان الفاحشة

بلهفة الاشتياق
العري يفضح النحاس المؤكسد

بنبض الصوت المرفرف بملايين الأجنحة
يصعد العري الجبل الأليف
يضع الغيوم في جيب الشاعر

أيها العازف المتجول
تقف على بيوتهم
تمرر ضحك الأعشاب الفاحش البريء
من نافذة السماء
تحمل إليهم صوت النوافير البعيدة

الطيور التي رافقتك في رحلة الوهم تحلق
الآن
تقطف كلماتهم المعلقة بين السابحات
تملأ بها قواقع أحلامهم.

شهقات وزفير ساخن
تتشكل دوائر على الشواشي الحمراء

عود ونار
بخور جلسة مالوف
في الزاوية الكبيرة

الأصوات تحملق من جدران البيوت التي
زينها الطين الجبلي
هل أخفق العفاس حين استراح تحت ظل
العائدات من الحقل
ولم يضخ خميرته في قلب الطين؟

شاحذ السكين أشار له أن:
أرفع عينيك عن وعاء الألم
كان الوعاء يحمل عظايات وسلاحف
وأفاعي بحرية سامة
ما كان له سوى يدين طليقتين ليحفر في
الجدار شقوقا

يختبئ فيها الرجال الذين أتوا من الأماني
الكاذبة
شاحذ السكين رأى في المعدن:
لهفة تتجمع على سطح البركة
غابات تصلب عصافيرها على الأغصان
مراكب تبحث عن ملاحيها
أغاني أخلفت مواعيدها
أنهار تحن إلى منابعها
سواقي تصفر فيها الريح
باردة كالفضيحة

أبيض

أحيانا يملؤني شعور بأن الشارع
أبيض
أن نوم الذين يحركون أكتافهم المليئة
بالنياشين
أبيض
أن الرمل الذي كان في عجلة من أمره
ليركب ريح يونيو
أبيض
أنني حين التفتُ للمرأة القابعة وراء نافذة
الحديد راودني فكرٌ
ابيض
أن الكلام يأتي مثلما كانت أمي تحرك حبات
سبحتها بعد قيلولة حارة
أبيض

نعم

إني لا أتوقعُ

ولا أنتظر ردا

لأنني أعلم أن الأبيض

لا يحتمل الكلام

هكذا يدخل اللحن مداره

العاصفة أوشكت على المجيء
الأشجار التي مالت برؤوسها تتفقد العابرين
وقفت صامتة
برزخ المنسيين صدى لأقدامهم
وظلالهم رائحة لسفر قديم
كانت عين القلب جسرا للهواجس
ودمك يلهث وراء جنون
يسري بين مقاطع اللحن
هواء باردا وارتعاش شفاه

ما كان لك أن تغامر
أو تخفي الهلال الحارس دربهم
ما كان لك سوى وهم البدايات
ما كان لك غير
أنة تنام في الكلمات
التي لم تقلها

ماذا تركت لهم
الذين وراءك حول النار
أو حولهموا النار؟

وهم في سماء الغابة

رجال كثيرون يقفزون
المنحدر الصعب إلى الغابة البعيدة
كل شيء يبدو
من سطح الكلام بعيد
أنفاس الماشية الشبعى تملأ المكان
كأنها وهم يسابق الريح
إلى البحيرة المخفية في الأحلام

لم يكن شيئا هذا الذي يطيل النظر إلى
الأحلام
لم يكن شيئا هذا الذي يرجع إلى بيته مساء
وفي يديه نواقيس النجوم الشاحبة
لم يكن شيئا هذا الذي يخبيء في صدره
آهات الأوتار الذهبية
لم يكن شيئا هذا الذي صاحبني لأنني أجيد
الضحك

لم يكن شيئا هذا الذي نام في وقته وفي يده
صوت الغابة الحنون
لم يكن شيئا هذا الذي كنته
لم يكن شيئا
لم يكن شيئا
شيئا

الشجرة راقبتهم
حين أتوا من غروب الشمس
كانوا بدوا جفت شفاههم
وقلوبهم تدق خارج الإيقاع
لم يحملوا معهم سوى أوهام ماضي يئن
الأولاد كانوا يتطلعون إلى أعلى في خوف
الشجرة راقبتهم
حين مروا تحتها بلا رائحة

لنرجع
قال العجوز في صوت هامس
لم يكن وراءه أحد
كانت الكلاب تتبع خطواته
تتبع رائحة جديدة في الفراغ المدور
كالخوف

لا أصوات تأتيه من نوافذ مغلقة
لا أيد تمسح عنه عرق مسافات عبرها
لا ماء يسقط من السماء التي تخاصم معها
ليتبعني أحد
قال العجوز في صوت هامس

الفهرس

كأن الفلك برارٍ وأنت مليكها	5
طبيعة	11
مدينة	15
نافذة	23
هرم الزمان وفاحت خيباته	27
لنتوقف قليلا	33
أغنية وراء الحائط	39
كل ما في الأمر	45
وقوف	49
على	91
أول الليل	95
بوليرو	99
موسيقى البهو	105
أبيض	115
هكذا يدخل اللحن مداره	119
وهم في سماء الغابة	123

مجلس تنمية الابداع الثقافي

المقر الرئيسى / بنغازى هاتف: 9082002-9082003-061

بريد مصور: 9082004-061 ص . ب 9351

بريد الكترونى : Lcc@mail.Lttnet.net